الفصل الثاني والعشرون:
ثورتي مصر والعراق

منى محروس

منذ بدأت الهجرات اليهودية إلى أرض فلسطين، كان لدى الشعوب العربية موقفٌ معادٍ لتلك الهجرات، كما دعم الشعب العربي الثورة الوطنية الفلسطينية (١٩٣٦ - ١٩٣٩).

وكان للشعبين المصري والعراقي، دوران بارزان، في مساندة تلك الثورة، وطالبت الجماهير العربية الأنظمة الحاكمة بالتدخل السريع، لإنقاذ الشعب الفلسطيني، لما يعانيه جراء الاحتلال، من اغتصاب وسلب لأراضيه، وعندما رضخت الحكومات العربيه لمطالب شعوبها، أرسلت جيوشها إلى فلسطين، دون تنظيمٍ، أو تسليحٍ كافٍ لخوض معركةٍ حقيقيةٍ ضد جيشٍ مستعدٍ لخوض معركة.

عندما تقدمت الجيوش بطلب العون من أنظمتها، أرسلت إليها أسلحةً غير صالحةٍ لخوض حربٍ متكافئةٍ، لكن الجيوش العربية استمرت في مقاومتها، ونجحت في معارك عدة ضد العصابات الصهيونية المسلحة، وإن كانت الحرب حسمت، في النهاية، لصالح العدو الصهيوني، بهزيمة الجيوش العربية، ما كان له أبلغ الأثر في نفوس تلك الجيوش، بعد خروجها من فلسطين، دون تحقيق الهدف الحقيقي، الذي ذهبوا من أجله، وعادت الجيوش إلى أوطانها، وهي مشحونة ضد أنظمتها، وضد

الاحتلال، في آنٍ معًا، فماذا كانت ردة فعل هذه الجيوش عامةً، وجيشي مصر والعراق خاصةً؟ هذا ما سنتطرق إليه في هذا الفصل.

الاستعداد للمعركة:

كان ملوك ورؤساء الدول العربية قد اجتمعوا، في عمان، في ٢٩ إبريل/ نيسان ١٩٤٨، وأوصوا بتعيين الملك عبد الله بن آلحسن، قائدًا للجيوش العربية، وأن يتولى اللواء الركن نور الدين محمود، من العراق، منصب القائد التنفيذي، ويكون تابعًا للجنة السياسية لجامعة الدول العربية، مباشرة، وكان ذلك قبل بدء العمليات الحربية بخمسة أيامٍ فقط، وكان مجلس الوزراء العراقي قد اجتمع، يوم ١٩٤٨/٥/٩، بحضور السيد جمال مردم، رئيس الحكومة السورية، السيد رياض الصلح، رئيس الحكومة اللبنانية، وفي هذا الاجتماع تم تأييد قرار جامعة الدول العربية، كما عقد اجتماع آخر، في اليوم التالي، في دمشق، في غياب ممثل كلٍ من حكومتي مصر والسعودية، وطلب وضع خطة عسكرية، بناءً على طلب الساسة، الذين حضروا الاجتماع، وتم وضع خطة نهائية للعمليات المقبلة في فلسطين، مع تحديد مهام كل من الجيوش العربية، بالفعل، وتحدد دور كل من مصر والسعودية، رغم عدم حضورهما ذلك الاجتماع.

كان دور مصر حسب الخطة الموضوعة:

١ - التقدم من حدود مصر في رفح إلى الشمال نحو تل أبيب، وتصفية ما يقابل الجيش المصري من مستعمرات.

٢ - أن تقوم البحرية المصرية بمراقبة السواحل الفلسطينية،

ومحاصرتها.

٣ - أن تقوم القوة الجوية المصرية بمساندة الجيش، عند تقدمه.

أما دور الجيش العراقي فكان حسب الخطة، التقدم من إربد إلى جسر المجامع، على نهر الأردن، وكيشر وكوكب الهوى، ومنها إلى بيسان، ثم العفولة، فالناصرة.

ما حدث، لاحقًا، أكد غياب تنظيم عسكري عربي، قبل بدء الحرب، فإسناد مهام إلى قوات غير موجودة، بشكل فعلي، عند الاستعداد، كمصر والسعودية، يؤكد الاستخفاف العربى تجاه تلك الحرب. والدور المصري قد حدد دون وجود مندوب أو ممثل للجيش المصري[١].

في الوقت المحدد لدخول الجيوش العربية فلسطين، كانت هناك أوضاع سيئة تسود الدول العربية عمومًا، وجيوشها بشكل خاص، ولم يضع حكام العرب الخطر الصهيونى في إعتبارهم، وكانت مصالحهم الشخصية فوق كل شئ، بما في ذلك فلسطين، وظل الحكام العرب يعقدون إجتماعاتهم، دون محاولة مد يد العون الفعلي للمجاهدين العرب في فلسطين، وحرص أولئك الحكام على إرضاء السياسة البريطانية، ومسايرتها، وأضاعوا الوقت هباءً، وكان كل يومٍ يمر يزداد اليهود في فلسطين قوة، فيما يزداد العرب ضعفًا، ولم تتحرك الجيوش العربية إلى فلسطين إلا بعد خروج الإنجليز، وتسليم فلسطين لليهود، كما أن الجيوش

(١) لواء أ. ح. د/ إبراهيم شكيب، **حرب فلسطين ١٩٤٨، رؤية مصرية**، القاهرة، الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٦، صـ١٥٨- ١٥٩.

العربية التي دخلت أرض فلسطين ١٩٤٨. كانت تفتقر للعتاد، والسلاح، والقيادة الكفوئة، وكانت الخيانة واضحة من قبل الملوك والحكام العرب، رغم تلك الظروف تحركت الجيوش العربية، ومن ضمنها الجيش المصري، دون سلاح، فالسلاح فاسد، قديم، متآكل، والقيادة غير أمينة، وخطوط التموين غير سليمة أو متماسكة. وعلى العكس من ذلك كان العدو على أتم الاستعداد، من عدة وعتاد، وأثناء الحرب تقدم المجاهدون المصريون بعزيمة وثبات، وهم يتذكرون أهم قادتهم الذين أستشهدوا، وعلى رأسهم البطل أحمد عبد العزيز[١].

منذ بدء الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٨٨٢، وحتى حرب فلسطين ١٩٤٨، قد مر الجيش المصري بأحقاب تاريخية ثلاث، الأولى من بدء الاحتلال البريطاني وحتى معاهدة ١٩٣٦، والثانية من ١٩٣٦، وحتى إعلان الحكومة المصرية عدم اشتراك مصر في الحرب العالمية الثانية، تجنبًا لويلاتها، في عام ١٩٤٠، والثالثة من عام١٩٤٠وحتى انتهاء حرب فلسطين عام ١٩٤٩، ومن ثم حتى قيام ثورة يوليو ١٩٥٢.

في الحقبة الأولى، كان ضباط الجيش الإنجليزي يسيطرون على الجيش المصري، بشكلٍ كاملٍ، حيث كانوا يشغلون كل المراكز القيادية للجيش المصري، بما في ذلك القيادة العامة للجيش، ولم يكن وزير الحربية المصري يملك حق التدخل في أيٍ من شئون الجيش، وحرصت القيادة الإنجليزية أن يكون الجيش

(١) د/ سعيد عبد الفتاح عاشور، **ثورة شعب**، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٥ صـ١٣٣: ١٥٠.

المصـــري مجـــرد جـــيش احتفـــالات، ولكـــن الضـــباط المصـــريون اشـتهروا، فـي تلـك الحقبـة، بالحفـاظ علـى كـرامتهم، ووطنيـتهم، الأمـر الـذي عرضـــهم للمحاكمـــات العســـكرية، أحيانًـــا، والفصـــل مـــن خدمـــة الجيش، أحيانًا أخرى[1].

بدأت الحقبـة الثانيـة، بعد توقيـع معاهدة ١٩٣٦، وحتـى عـام ١٩٤٠، واتسـم ضـباط الجـيش، أنـذاك، بالطـابع الـوطني، وانسـحب الموظفـون البريطانيون من الجيش كما عادت القوات المصرية إلى السودان، بعد أن كانت انسحبت منه، عام ١٩٢٤، ووصلت بعثة عسكرية بريطانية، تولت إعادة تنظيم الجيش المصري، وتسليحه، وتدريبه. كما عين اللواء محمود شـكري باشـا قائـدًا للجـيش، بعـد سـفنكس باشـا، وارتفـع عـدد الجـيش المصـري، فـي ديسـمبر/ كـانون الأول عـام ١٩٣٩، بعـد قيـام الحـرب العالمية الثانية، إلى ١٤٢١ضابطًا، ٣٤.٨٥٥ من الرتـب الأخرى. وكـان هناك نقصٌ طفيف في ميزانية ذلك العام، والتـي بلغت ١٤٤٤ ضـابطًا، و ٣٦.٨٤٠ صفًا وجنديًا.

أما الحقبة الثالثة، والتي تطور خلالها الجيش المصري، فبدأت عام ١٩٤٠، وأعلنت مصر عدم المشاركة في الحرب العالمية الثانية، الأمر الـذي جعـل البعثـة العسـكرية البريطانيـة تتـأخر فـي مهمتهـا، وتـم سـحب الضباط الإنجليز أركان الحرب، وحل محلهم ضباط وحدات، ووسمت سياسة الجيش المصري بعدم الإتزان، فالقيود البريطانية عليه من ناحيـة، وعدم وجود سياسة تحكم الجيش من قبل الحكومات، من ناحية أخرى،

(١) شكيب، **مصدر سبق ذكره**، صـ١٤.

الأمر الذي ولد استياءً من قبل عناصر الجيش من البريطانين والحكومة على حدٍ سواء[١].

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، عرض الإنجليز على الحكومة المصرية شراء أعداد كبيرة من دبابات شيرمان، ومعدات عسكرية أخرى، في الوقت الذي كانت إنجلترا مدانة لمصر بحوالي ٤٠٠ مليون جنيه استرليني. ومع ذلك رفضت الحكومة المصرية هذا العرض، كما أهملت تعزيز الجيش، وتطويره، وعانى الجيش من النقص الشديد في السلاح والذخيرة، وكانت النتيجة دخول الجيش المصري، حرب فلسطين، وهو يعاني نقصًا واضحًا، في أسلحته، ومعداته، وذخيرته وتدريبه. " الأمر الذي ولد البغض والكراهيه من قبل ضباط الجيش، الذي لا يعنيه مصلحة قواته المسلحه، والتي ستخوض معركة عن أرض مقدسه كفلسطين. " وكانت رئاسة الجيش قد وضعت خطة، في ٢٣ مارس/ آذار ١٩٤٧، لزيادة عدد الجيش، وإعادة تنظيمه، وتسليحه، وذلك للوصول بتعداد الجيش إلى ٦٣٤٩ ضابطًا، و٤٤٢٥٠ من الرتب الأخرى، ولكن الجيش المصري دخل حرب فلسطين، ولم تطرأ عليه أي زيادة تذكر، اعتبارًا من ديسمبر/ كانون الأول عام ١٩٤٧، وحتى مايو/ آيار ١٩٤٨، مع إعلان التعبئة، وتشكيل وحدات احتياطية للطوارئ. ومع تطور الأحداث في فلسطين، زار وزير الدفاع المصري قوات الجيش في العريش، في ١٧ فبراير/ شباط ١٩٤٨، واقترح دراسة احتمال استخدام القوة، أو جزء منها في التقدم شرقًا إلى فلسطين، وإعادة النظر في

(١) المصدر نفسه، صـ ١٤٢، ١٤٥.

وحدات العريش وبحث أوجه النقص في القوة، سواء في الأفراد، أو المعدات، وذلك لاستكمالها. كما بحث الوزير ما يمكن للجيش تقديمه من المعاونة في حدود طاقته، آنذاك. ورفع الوزير تقريرًا للموقف من إدارة العمليات الحربية، وأعد ذلك اللواء مصطفى مرسي لطفي باشا، مدير العمليات الحربية، في مارس/ آذار ١٩٤٨، ولذلك اقترح رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة، في مذكراته، التي قدمها لوزير الدفاع ضرورة إعادة النظر في العروض التي قدمت من الشركات الأجنبية، وأهمها العرض المقدم من شركة زروفكابرتو، واتخاذ الخطوات العملية في سبيل تعزيز الجيش بالأسلحة الآلية الحديثة. وقد بعث اللواء لطفي بمذكرة إلى رئيس هيئة أركان الجيش بالنيابة، اللواء عثمان المهدي، في التاسع من مايو/ آيار ١٩٤٨، طلب فيها سرعة استكمال القوات في العريش، من العربات، والمعدات الفنية، والأسلحة، والذخيرة. واتضح من ذلك أن الجيش المصري لم يكن مستكملاً لأسلحته، ومعداته، عشية قرار دخول فلسطين، في العاشر من مايو/ آيار ١٩٤٨. وكان يعاني نقصًا واضحًا في ذخيرته، بالإضافة إلى القصور الواضح من جانب المخابرات في توفير المعلومات عن الأرض، والعدو، للقوات المنتظر دخولها فلسطين، الأمر الذي دفع بمدير عمليات الجيش إلى طلب قيام طائرات السلاح الجوي بالمساعدة في الحرب[١].

الجو الذي نشأ فيه الضباط المصريون:

كان الضباط المصريون الشبان يسعون فرادى ومجموعات، إلى

(١) المصدر نفسه، صـ١٤٥: ١٥٨

بيت الفريق عزيز المصري في " المطرية "، فلطالما حدثهم عن مصر، وعن أنفسهم، باعتبارهم خلاص مصر مما هي فيه. وكان " المصري " يبث فيهم أفكاره، المليئة بالحرص على وجود جيل مصري قوي مثقف، يُعتمد عليه، وظل يحثهم على القراءة في جميع المجالات. وكان هؤلاء الضباط يتشوقون للقاء الذي يجمعهم مع عزيز المصري، للتعرف على أفكاره، وتلقي توجيهاته. في الوقت الذي أصبحت فيه الأحزاب السياسية تتعارك من أجل التقرب من الملك وبريطانيا، من أجل البقاء في السلطة، وتناسوا الهم الوطني، وازدادت الفجوة بين الجماهيرمن جهة والأحزاب وزعمائها، والنظام الحاكم من جهة أخرى، ومن هنا بدأت تظهر الأفكار الثورية والتقدمية، وتركت هذه الأحوال للشعب المصري عامة، والعسكريين خاصة خيبة أمل، فبدأت تظهر أفكار شابة متحررة " كمصر الفتاه " وظهر مصلحون من العسكريين أشاعوا الأمل في التغيير بأساليب جديده على الفكر السياسي المصري، وتجلى ذلك في " عزيز المصري "، الذي نقل كل ذلك إلى الضباط الشباب الذين كانوا مستمرين في اللجوء إليه، للتعلم منه، وكان حادث فلسطين هو الكاشف الحقيقي عن الأزمة التي تعيشها مصر، وكانت الحافز الذي دفع الضباط للتحرك الفعلي. وكان العمل السياسي في الجيش يمر بمظاهر مختلفة، من اتصال بقوى خارجية، إلى كتابة صحفية، إلى تهيج ثوري، إلى اتفاقات جنائية، بل إلى أعمال عنف، وانتهت إلى ثورة، كما أسهمت حرب فلسطين في تحرك مصر، لامتلاك جيش قوي. وانغمس ضباط الجيش في العمل السياسي، بهدف التغيير، الذي يعيد لمصر وجهها الصحيح، وكانت المحصلة ثورة

٢٣ يوليو، تموز ١٩٥٢[١].

عن تاريخ هؤلاء الضباط الوطنيين، يقول عبد الناصر في " فلسفة الثوره " : إن طلائع الوعي العربي بدأت تتسلل إلى تفكيري، وأنا طالب في المدرسة الثانوية، أخرج مع زملائي في إضراب عام، في الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني من كل عام، احتجاجًا على وعد بلفور.... لم أكن أجد في نفسي سوى أصداء العاطفة، وثم بدأ نوع من الفهم يخالج تفكيري حول الموضوع، لما أصبحت طالبًا في الكلية الحربية، أدرس تاريخ فسطين، بصفة خاصةً.... ولما بدأت أزمة فلسطين، كنت مقتنعًا بأن القتال في فلسطين ليس قتالاً في أرض غريبة، وهو ليس انسياقًا وراء عاطفة، وإنما هو واجب يحتمه الدفاع عن النفس " [٢]، يقول عبد الناصر: " أذكر يومًا، عقب صدور قرار تقسيم فلسطين في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٨، عقد فيه الضباط الأحرار اجتماعًا، واستقر رأيهم على مساعدة المقاومة الفلسطينية، وذهبت، في اليوم التالي، أطرق باب الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين، وكان لا يزال يعيش في الزيتون، وأقول له إنكم في حاجة إلى ضباط، يقودون المعارك، ويدربون المتطوعين. في الجيش المصري عدد كبير من الضباط يريد ان يتطوع، وهم تحت أمرك، في أي وقت تشاء. وقال لي الحاج أمين الحسيني إنه سعيد بهذه الروح، ولكنه يرى أن يستأذن الحكومة المصرية، قبل أن

(١) عبد الوهاب بكر، **الجيش المصري وحرب فلسطين ١٩٤٨ - ١٩٥٢**، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، صـ٢٧٣: ٢٧٨.

(٢) اللجنة العربية لتخليد القائد جمال عبد الناصر، **فلسفة الثورة**، القاهرة، الجزء الثالث، صـ٣٩: ٥٦

يقول شيئًا. ورأى الحاج أمين الحسيني، آنذاك، أن يستأذن الحكومة المصرية ولكن طلبه قوبل بالرفض، وبعدها كانت مدفعية أحمد عبد العزيز تدك المستعمرات اليهودية، جنوبي القدس، وكان قائد المدفعية هو كمال الدين حسين، عضو اللجنة التأسيسية للضباط الأحرار، التي تحولت إلى مجلس قيادة الثورة، وكان حسن إبراهيم قد سافر إلى دمشق واتصل ببعض ضباط فوزي القاوقجي، الذي كان يقود " جيش الانقاذ " يستعد لمعركة فاصلة في المنطقة الشمالية من فلسطين [١].

وضع حسن إبراهيم وعبد اللطيف البغدادي خطة جزئية، للقيام بعمل حاسم في المعركة التي يستعد لها جيش الإنقاذ. وقرر إبراهيم والبغدادي أن يقوم سلاح الطيران المصري، وذلك لاستخدامه في المعركة، مسانداً لجيش الإنقاذ ولم تكن مصر قد دخلت حرب فلسطين، كان جو الرقابة في القوات المسلحة، بما فيها سلاح الطيران، حذرًا متيقظًا. بدأت في مطار سلاح الطيران حركة عجيبة، وبرز فيها نشاط واسع لإصلاح الطائرات، وإعدادها، وكانت هناك جهود واضحة في التدريب. وقليل من الضباط يعرف هذا السر، يعرفون أن الطائرات وقوادها قد أعدوا ليومٍ تجيء فيه إشارة سرية من سوريا، لينطلقوا بعدها إلى الجو حتى يشتركوا بكل قوتهم في معركة حاسمة على الأرض المقدسة، وبعدها يتوجهون إلى مطار قرب دمشق، وينزلون فيه، ويترقبون الأحوال في مصر، ويعرفون صدى الحركة التي أقدموا عليها، ويقررون بعدها كيف يتصرفون، يقول عبد الناصر: " وكان شعورنا في اللجنة التنفيذية للضباط الأحرار أن هذه

(١) المصدر نفسه، صـ ٤٣.

المخاطرة الجزئية، لم تكن حبًا في المغامرة، ولا رد فعل للعاطفة في نفوسنا، إنما كانت وعيًا ظاهرًا لإيماننا بأن رفح ليست آخر حدودنا، وأن نطاق سلامتنا يوجب علينا أن ندافع عن حدود إخواننا الذين شاءت لنا أحكام القدر أن نعيش معهم في منطقة واحدة، ولم تتم الخطة، لأننا لم نتلق إشارة من سوريا، وقضت الظروف بعدها أن تدخل الجيوش العربية كلها الحرب في فلسطين ". يردف عبد الناصر " يعنيني من حرب فلسطين شيء عجيب، لقد دخلتها شعوب العرب بنفس المرارة والخيبة، قد تعرضت لنفس العوامل وحكمتها نفس القوى التي ساقتها إلى الهزيمة. ومن هنا نجد أن الضباط الأحرار كانوا منظمون بشكل كبير، قبل دخول تلك الحرب، وساهمت تلك الحرب في تشكيل وعيهم، بشكل كبير، حيث بدأ هؤلاء الضباط يربطون مصير الأمة العربية بأكملها ببعضا " [1].

يمكننا القول أن الحماس كان شديدًا، في بداية عام ١٩٤٨ لدى كافة الشعوب العربية للجهاد على أرض فلسطين، وكان ضباط الجيوش العربية وخصوصًا الشباب منهم أكثر اندفاعًا للتطوع في سائر جبهات القتال: ففي سوريا قدم عدد كبير من الضباط طلبات الالتحاق عن طريق قيادتهم وقدم قسم منهم استقالته من الجيش، إلى أن قبلت رئاسة الأركان السورية إقرار ٤٦ ضابطًا منهم مع عدد كبير من ضباط الصف والجنود، وزعم كبار ضباط العراق الفكرة، وانضم الكثير من الضباط الشباب المحالين على التقاعد، إلا أنهم اشتركوا، قبلاً، في ثورة " رشيد عالي الكيلاني "، وكان أوائل المتطوعين المصريين المقدم أحمد عبد

(١) المصدر نفسه، صـ ٤٤، ٤٥.

العزيز، والنقباء " حسين فهمي عبد المجيد (مدفعي)، معروف الحصر، كمال الدين حسين (مدفعي)، حمدى واصف، عبد المنعم عبد الرؤوف، محمود عبده، عبد الجواد طبالة، والملازمون زغلول الشلبي، عمر النبيلي، كمال حسك، ومدلول عباس، والنقيب مشيل عيسى (من أصل فلسطيني)، والملازمون الأوائل: محمد الحنيطي، كمال سعدون، علي كمال الدين، والملازمان: عبد العزيز حمدي، حاسم عماره [١]. في اليوم الأول من يناير/ كانون الثاني ١٩٤٨، تجمعت ثمانية أفواج، ومن بينهما فوج اليرموك، قائده الرئيس مدلول عباس (عراقي)، فوج القادسية: قائده المقدم مهدي صالح العني (عراقي)، فوج حطين: قائده المقدم عادل نجم الدين(عراقي) [٢].

أزمة السلاح العربي :

لم يكن التسلح، ولا استيراد السلاح ولا صنعه محليًا، مشكلة من بين المشاكل التي شغلت بال مسئولي الدول العربية، في السنوات الأولى من حياة تلك الدول، دوليًا، بعد انفصالها عن الحكم العثماني، ذلك أن خضوعها لحكم الاستعمار الأوروبي، بشكلٍ أو بآخر، في الفتره التي مرت بين ١٩١٨: ١٩٤٨ وبعدها، أبعدها عن العناية بمسألة التسليح، وانشغلت أكثر بمسألة الاستقلال. وبالرغم من اعلانات الاستقلال في ما بين ١٩٣٠، ١٩٤٨، في مصر والعراق وبعض الدول العربية الأخرى،

(١) محمد فائز القصري، **حرب فلسطين عام ١٩٤٨، الجزء الثاني، مرحلة النضال والجهاد**، دمشق، المطبعة العمومية، ١٩٦٢، صـ ٢٤٧: ٢٤٩.

(٢) عارف العارف، **النكبة، نكبة بيت المقدس والفردوس المفقود، ١٩٤٧: ١٩٥٢**، بيروت، المطبعة العصرية، و. ت.، صـ ٣٨: ٤١.

فإن مصائر هذه البلدان ظلت مربوطة بالرغبة الأجنبية في أمور حياتية أساسية، يتوقف عليها مصير الأمة بشكل عام. كانت الجيوش العربية من المؤسسات، التي لم يرض الاستعمار أن تصبح أداة حرة قوية بين القوى التي أخذت تحاول سد الفراغ العسكري، على إبقاء الجيش تحت السلطان الأجنبي بشكل غير واضح. وهكذا كانت الجيوش العربيه في ١٩٤٨، عام بدأ مرحلة حاسمة في تاريخ الصراع العربي الصهيوني، وكانت جيوش سبع دول عربية مستقلة، جيوشًا غير مستقلة، بالمعنى الصحيح للكلمة. فجيش مصر والعراق على سبيل المثال قد عقدا معاهدتين مع بريطانيا، وكان هناك تحكمًا بريطانيًا على قوى البلدين العسكرية، وبشكل شامل ومرهق. ولكن الفقر وضآلة العدد جعل حالهما أتعس من حال الجيوش العربية الأخرى.

في العقد الأربعين من هذا القرن كانت هناك محاولات للضباط العرب، في كل جيش عربي، لتطوير مؤسستهم، وترقيتها، لتلعب دورًا رئيسيًا في معركة الدفاع عن الوطن، بشكل عام، وفي معركة إنقاذ فلسطين، بشكل خاص، فكان هناك إلحاح من قبل الضباط على حكوماتهم للحصول على السلاح، فطلب ضباط الجيش العراقي وشرق الأردن من حكوماتهم ضرورة استيراد سلاح جديد وفعال، ولكنهم فشلوا في إقناع حكوماتهم، للسيطرة البريطانية على تلك الحكومات. كما ألح ضباط الجيش المصري على الملك فاروق بطلب المزيد من السلاح، وأعطاهم الملك سلاحًا فاسدًا، غير صالح للاستخدام، وكان ذلك حال الجيوش العربية على العموم، الأمر الذي جعل ضباط تلك الجيوش تفكر، أولاً،

في التخلص من تلك الحكومات، حينما تعود إلى أوطانها [١].

كانت الحرب الفلسطينية، بالنسبة لعدد كبير من الضباط، وخاصة " الضباط الأحرار "، تجربة من نوع مرير، فتسليح الجيش لم يكن كافيًا، ولم تكن هناك قيادة بالمعنى المتعارف عليه، وأصبحت قضية الأسلحة مشكلة رئيسية تدق أبواب القصر بالإدانة، وضغط الملك، آنذاك، على الحكومة، والنيابة العامة، حتى أمرت بحفظ التحقيق بالنسبة لرجال الحاشية. وكانت تلك الحادثة من أهم أسباب اتساع الفجوه بين الملك وضباط الجيش، فانكشف الوجه الحقيقي للملك وحاشيته، أمام ضباط الجيش، مما ترك أثرًا بالغًا لدى الأخرين، ورغبة في الانتقام من الملك، ونضج هذا النظام أمام الشعب المصري. وبدأ الضباط يضعون أمامهم أهدافًا رئيسية، وخطوات فعلية، من أجل ذلك، للثوره ضد هذا النظام الفاسد، كما سبب الحصار داخل الفالوجه لدى الضباط المصريين شعورًا بالحقد الدفين ضد النظام الذي جر الجيش إلى تلك الحرب [٢].

عن حصار القوات المصرية في الفالوجة، يقول عبد الناصر في " فلسفة الثورة " إن الظروف السياسية المحيطة بالعاصمه، التي نتلقى منها الأوامر تحيطها بحصار، وتلحق بها عجزًا آكثر من الذي تصنعه بنا نحن القابعين في منطقة الفالوجة... وكنت مؤمنًا أن الذي يحدث لفلسطين كان يمكن أن يحدث وما زال احتمال حدوثه قائمًا لأي بلد في هذه المنطقة،

(١) أنيس صايغ، **ميزان القوى العسكرية بين الدول الغربية وإسرائيل**، بيروت، منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٧، صـ ٩: ١٢.
(٢) شكيب، **مصدر سبق ذكره**، صـ ٤٣٤: ٤٥٣.

مادام مستسلمًا للعوامل والعناصر والقوى التي تحكمه الآن، ولما انتهى الحصار وانتهت المعارك في فلسطين، وعدت إلى الوطن، كانت المنطقه كلها في تصوري قد أصبحت كلاً واحدًا... كان الحادث يقع في القاهرة، فيقع مثيلاً له في دمشق غدًا، وفي بيروت، وفي عمان، وبغداد، وغيرها ". ما يؤكد تأثير الحرب والحصار في الضباط، بشكلٍ كبير، فالحصار وحد تلك الجيوش العربية دون أن تدري، وعادت الجيوش، ولديها عدو واحد، وهو أي عدو يعتدي على أي بلد من بلدان المنطقة [1].

حرب فلسطين والضباط المصريين :

إذا كانت حرب فلسطين قد بدأت في ١٥ مايو/ آيار ١٩٤٨، بتفوق عددي إسرائيلي، يقابله تفوق عربي في قوة النيران، فإن الإسرائيليون قد بدأو عملياتهم، في ١٥ اكتوبر/ تشرين الأول ١٩٤٨، وهم محققين تفوقًا في العدد، والعتاد على الجيوش العربية مجتمعة[2]. يذكر فاتيكوتس في كتابه " الجيش المصري في السياسة " أن الأحد عشر ضابطًا الذين جمعتهم اللجنة التأسيسية لجماعة الضباط الأحرار، أواخر عام ١٩٤٩، دخل منهم الكليه الحربية ١٩٣٦، ثمانية، والباقي دخلوها بعدهم، يتصور أن تنظيم الضباط الاحرار ظهر ككيان تنظيمي في ١٩٤٩، ولم يكن الأمر قبل ذلك سوى مجرد إرتباطات وعلاقات شخصية، بدأت في الكلية الحربية، بين عامي ١٩٣٦، ١٩٣٩ ونمت، وتحددت، بين عامي ١٩٤٥، ١٩٤٨، وتطورت أكثر، أثناء حرب فلسطين ولم يكن هناك التحام فكري

(١) فلسفة الثورة، **مصدر سبق ذكره**، صـ ٤٦، ٤٧.
(٢) شكيب، **مصدر سبق ذكره**، صـ ٣٤٢.

بينهم، يعتمد على الخطط المنظمة، والعمل الثوري، بل تطورت افكارهم من خلال الأحداث التي مرت بها البلاد الفتره من ١٩٤٨: ١٩٥١. ثم جاءت حرب فلسطين لتبعث في شباب " الضباط الأحرار "، وقبل إعلان الحكومة دخولها الحرب في ١٥ مايو/ آيار قررت جماعة الضباط مساندة المقاومة الفلسطينية بالعرض الذي قدمة عبد الناصر للحاج أمين الحسيني، كما أشرنا من قبل، وقدم عبد الناصر استقالته، آنذاك، من الجيش للإنضمام إلى حركة الكفاح هناك، ولكن استقالتة رفضت، وإن استطاع جمال الدين حسين أن يستقيل، وتطوع في فلسطين. كانت تجربة فلسطين صدمةً بالنسبة للجيش والشعب ولحركة الضباط الأحرار. وكان الشعب المصري يرى أن الجيش مؤسسة عسكرية تقف بجوار الملك، ويسيطر عليها هو والاحتلال، وكان دخول الجيش حرب فلسطين أول نشاط لهذه المؤسسة، في القرن العشرين، واحتضنت الجماهير كافة العمليات العسكرية، بآمالها، ونمى لديها الشعور بانتماء الجيش وضباطه المقاتلين لها، " ومن هنا بدأت ثقة الشعب في الجيش، الأمر الذي جعلهم يساندون الثورة التي قام بها هؤلاء الضباط، في يوليو/ تموز ١٩٥٢، وكانت حرب فلسطين السبب في ذلك "، وما حدث في فلسطين كان واحدًامن عوامل التقارب بين الجيش والجماهير. وأدرك الضباط، آنذاك، أن العدو لم تكن إسرائيل، وحدها، ولكنه الاحتلال البريطاني، والرجعية المحلية في مصر، مجتمعين. وفي الفترة من ١٩٤٩، ومع العودة من فلسطين، وضع أساس التنظيم كله، واختير اسم " الضباط الأحرار "، ورسم أهدافه، ونظمه، وتمثل ذلك في:

١- القضاء على الإستعمار وأعوانه.

٢- إنشاء جيش وطني قوي.

٣- إيجاد حكم نيابي سليم.

في الفترة من ١٩٥٠: ١٩٥١ أصدر " الضباط الأحرار " العديد من المنشورات، التي تؤكد أن الجيش جيش الأمة، وليس ملك فرد من الأفراد (الملك)، كما ذكر فوشية في كتابه " المنشور الأول " في نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٩، صدر مكتوبًا بخط اليد، وفيه نداء للمصريين بتحرير الوطن، وبدأ درس فلسطين المرير، يعطي ثماره، مع المطالبة بإعادة تنظيم الجيش وتدريبه، ومع دعوة الحكام، للكف عن تبديد خيرات البلاد في البذخ والترف[١].

يقول عبد الناصر: " ذهبت أتجول في المواقع، وأتعرف على حقيقة الجو بين الضباط. وفي الحقيقة كنت أحاول أن أضم بعضهم إلى تنظيم الضباط الأحرار... وطريقتي، في ذلك الوقت، كانت ترتكز على عاملين، الأول: أن أعطي الثقة لكل من أقابلهم، والثاني: أن أقوي صلتي الشخصية بهم، إلى أبعد حد... إن الثقة والصداقة كفيلتان، عندما يحين الوقت المناسب، أن تتحول إلى شيء أعمق، وأنا أنظر حولي الآن، فأجد وجوهًا كثيرة في تنظيم الضباط الأحرار، التقيت بها، لأول مرة، في الخنادق في فلسطين ". ومن هنا نجد أن حرب فلسطين كانت فرصة

(١) طارق البشري، **الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥: ١٩٥٢**، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢، صـ ٤٥٧، ٤٧١.

حقيقية لدى " الضباط الأحرار " المصريين في ضم عدد آخر من الضباط الوطنيين إلى تنظيمهم، ممن شاركوا في الحرب[١].

كما رأى الضباط المصريين، وعلى رأسهم عبد الناصر، بأنهم وسط شعب لا يختلف كثيرًا عن الشعب المصري، بل أن تاريخهم وحياتهم تتصل، عضويًا، بتاريخ الشعب المصري وحياته، وكان العدو لا يقتصر عداءه على الشعب الفلسطيني، وحده، وإنما يمتد عداؤة بامتداد مطامعه، إلى تهديد ما حول فلسطين، شمالاً وجنوبًا. ورأى عبد الناصر نفسة في فلسطين، ومعه مقاتلين من ضباط وجنود معظمهم من الشعوب العربية، ضباط وجنود من فلسطين، والأردن، والعرا ق، والسعودية، كلهم يقاتلون من أجل هدفٍ يقع خارج الحدود السياسية الضيقة لدولهم، ولكنه هدف يعنيهم جميعًا ويمسهم. وأدرك عبد الناصر بأن خطر هذا الاستعمار يهدد المنطقة العربية بأكملها، فكل البلدان العربية تتعرض للاحتلال، وكلها غير مستقلة، ورأى الضباط أن لديهم دورًا يجب أن يقوم به داخل أوطانهم[٢].

عاد جنود الجيش المصري من فلسطين، سنه ١٩٤٩، وأحس مقاتلون فيه بأنه لابد من عمل شيء، وأن الأمانه الملقاة على عاتقهم ضخمة وكبيرة، وتألفت جماعة " الضباط الأحرار "، وقرروا نشر دعوتهم داخل صفوف الجيش، للعمل على إنقاذ البلاد مما تعانيه من

(١) محمد حسنين هيكل، **يوميات عبد الناصر عن حرب فلسطين**، باريس، منشورات مؤسسة الوطن العربي للطباعة والنشر، ١٩٧٨، صـ ٢٣: ٣٩.
(٢) **المصدر نفسه**، صـ ١١٨، ١١٩.

فساد. والتزم هؤلاء الضباط بالحرص الشديد على جماعتهم، وكتموا أمرهم، واعدوا نفسهم لأستقبال الموت في أي لحظة، واجتمعت هيئتهم، في يناير/ كانون الثاني ١٩٥٠، لاختيار رئيس لهم، ووقع الاختيار على جمال عبد الناصر، بالإجماع، وتكرر نفس الاختيار في يناير/ كانون الثاني١٩٥٠، ويناير/ كانون الثاني ١٩٥٢، وانحصر دور " الضباط الأحرار " في الدعوة لحركتهم، والتمهيد لها، وإعداد الرأي العام داخل صفوف الجيش وخارجه للثورة.

بالرغم من عدم مشاركتة الجيش في العمل الفدائي في القنال، سنة ١٩٥١، بسبب سوء ظروفه، بعد العودة من حرب فلسطين، فإن الضباط الأحرار لم ينسوا واجبهم، وقاموا بتدريب الفدائيين على حرب العصابات، وتزويدهم بالسلاح والذخيرة. " كانت حرب فلسطين درسًا أدرك، بعده، الجيش عدم المشاركة في معركة غير مستعد لها، كما أدرك الضباط أن بريطانيا أرادت استدراج الجيش إلى معركة القنال، للنيل من الجيش، والقضاء عليه، كما قضت على جيش عرابي (١٨٨٢) وكما حدث في النقب، أثناء حرب فلسطين " [١].

ثم حدث صدام عنيف بين " الضباط الأحرار " والملك فاروق، بعد خوض الضباط الأحرار انتخابات نادي الضباط، في ديسمبر/ كانون الأول ١٩٥١، الأمر الذي جعل الملك فاروق يحل مجلس إدار النادي مرة، ثم إعلانه، مرةً أخرى، عام ١٩٥٢. في تلك الآونة ازدادت الأحوال

(١) عاشور، **مصدر سبق ذكره**، صـ ١٦٨، ١٦٩.

سوءًا بين الضباط والملك[١].

لم يضم الجيش المصري، طوال عصر الاحتلال وحتى ثورة يوليو ١٩٥٢، إلا الفقراء، والطبقات المهملة من الشعب، وظل المثقفون ومتوسطو الحال بعيدين عن صفوف الجيش، الأمر الذي أدى إلى انخفاض مستوى الجيش، انخفاضًا مؤسفًا، وقبل ثورة يوليو، بلغ الجيش المصري درجة من الإهمال، وتدهورت الروح المعنوية، بشكلٍ كبير، جعل قيام ثورة يوليو أمر لا رجعة عنه، ويوم ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢، عرف العالم أن الجيش المصري قد ارتقى مستواه، واعترفت قوات الاستعمار بأن الجيش المصري أصبح أضخم قوة حربية ضاربة في الشرق الأوسط [٢].

كانت حرب فلسطين العامل الرئيسي في قيام ثورة يوليو، على ما أوضح عبد الناصر في " فلسفة الثورة " بقوله: " كنا نحارب في فلسطين، ولكن أحلامنا كلها في مصر، كان رصاصنا يتجهه إلى العدو الرابض أمامنا في خنادقه، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا... وفي فلسطين كانت خلايا الضباط الأحرار تدرس، وتبحث، وتجتمع في الخنادق، والمراكز، وجلسنا في الحصار لا نعرف له نتيجة ولا نهاية. كان حديثنا الشاغل وطننا، الذي يتعين علينا محاولة إنقاذه. يقول عبد الناصر: " لم ألتق في فلسطين بالأصدقاء، الذين شاركوني في العمل من

(١) **المصدر نفسه**، صـ ١٦٩.
(٢) **المصدر نفسه**، صـ ١٥٣.

أجل مصر، وإنما التقيت بالأفكار التي أنارت أمامي السبيل " [١]. كانت حرب فلسطين، صفحة جديدة في تاريخ الجيش المصري، وتحولاً هامًا، وأهم عناصره أن الجهود التي بذلت من أجل إحياء الجيش المصري تميزت بأنها محاولة مصرية خالصة... وأن هذا الموقف كان يخدم تحقيق رغبة التيار الشعبي في امتلاك جيش حديث يفتخر به، وكانت تلك قضية مرتبطة، بالدرجة الأولى، بما حدث في فلسطين، ومن النتائج المباشرة لهذه الحرب، إدخال تعديلات على المنهج الدراسي للكلية الحربية، بعد قيام ثورة يوليو/ تموز ودروس مواد جديدة، مثل الأرصاد الجوية، واقتصاديات الحرب، اللغة العبرية، كانت من المواد الجديدة التي تدرس، كما أدخل تدريس الإشارة [٢]. لم تكن مصر هي البلد الوحيد الذي شهد تحولاً جذريًا، بعد حرب فلسطين، كان لهزيمة ١٩٤٨ أثر كبير في كل أنحاء الوطن العربي، وفي بلد بعد آخر أصبحت الأنظمة القديمة ليس لديها أى دور تقوم به، ففي سوريا أطاح انقلاب بنظام الرئيس شكري القويتلي عام ١٩٤٩، وازدهر التدخل العسكري، كنمط جديد في السياسة العربية، كما تم اغتيال الملك عبد الله، ملك الأردن، عام ١٩٥٢، كما دخلت مصر فترة من الاضطرابات السياسية، والتي انتهت بثورة الضباط الأحرار، في يوليو/ تموز ١٩٥٢[٣]. وأذاع السادات رئيس مصر الأسبق بيان الثورة قائلاً: " اجتازت مصر فترةً عصيبة في تاريخها الأخير من

(١) فلسفة الثورة، **مصدر سبق ذكره**، صـ ٨: ١٤.
(٢) بكر، **مصدر سبق ذكره**، صـ ١٦٥: ١٦٩.
(٣) آفي شليم، آيوجين روجان، وآخرون، **حرب فلسطين**، ترجمة ناصر عفيفي، القاهرة، مؤسسة روز اليوسف، ٢٠٠١، صـ ١٨.

الرشوة، والفساد، وعدم استقرار الحكم، وقد كان لكل هذه العوامل تأثيرًا على الجيش، تسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين، وأما فترة ما بعد هذه الحرب قد تضافرة فيها عوامل الفساد، وتآمر الخونه على الجيش وتولى أمرهم إما جاهل أو خائن أو فاسد، حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها، وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا داخل الجيش رجالاً نثق في قدرتهم، وخلقهم وفي وطنيتهم ولابد أن مصر كلها ستلقى هذا الخبر بالأبتهاج والترحيب " [١]. وأشار بيان الثورة إلى الهزيمة في فلسطين كعامل رئيسي في قيام ضباط الجيش بثورة يوليو/ تموز.

الجيش العراقي في فلسطين:

كان الجيش العراقي من الجيوش، التي شاركت في حرب فلسطين. ففي ٧ يناير/ كانون الأول ١٩٤٧، وافقت وزارة الداخلية العراقية على قيام جمعية ألفها عدد من أعيان الشعب العراقي في بغداد، تحديدًا، وأسموها " جمعية إنقاذ فلسطين "، وتم انتخاب عدد من الأسماء في الهيئة التنفيذية العليا للجمعية، ومنهم: - الفريق الركن حسين فوزي ابراهيم باشا (رئيسًا)، اللواء الركن إبراهيم باشا الراوي (نائبًا للرئيس) عبد الرحمن خضر (محاسبًا)، إبراهيم عطار باشا (أمينًا للصندوق)، محمود فهمي درويش (سكرتيرًا عامًا)، والعلامة الشيخ محمد النهاوي، الزعيم الركن توفيق حسين، العقيد طاهر محمد عارف، العقيد عبد القادر

(١) إذاعة الفراعيين الألكترونية، **بيان الثورة**، إحتفالية ٢٣ يوليو/ تموز٢٠٠٧، الساعة ٦م.

obeikandl.com

العزاوي، النائب جميل الأورفة لي، الدكتور اسماعيل ناجي، والشيخ فرحان العرس، جميل روحي، نور الدين داوود، والشيخ محمد محمود الصواف (أعضاء). وقد استقال العضوان الأخيران، وحل محلهما المحاميان عبد الباقي السعيدي، وابراهيم مصطفي الأيوبي (أعضاء).. وأول عمل قامت به الجمعية دعوتها الشعب العراقي للتطوع من أجل القتال في فلسطين، ولبى الدعوة نحو عشرة آلاف شخص، سجلوا أسماءهم في سجل المتطوعين من أجل إنقاذ فلسطين، وكان من هؤلاء من سبق أن انخرطوا في سلك " الجندية أو الشرطة "، جنودًا وضباطًا، وتألفت من المتطوعين أفواجًا عديدة، باسم " الحسين "، و " القادسية "، وما إلى ذلك من الأسماء التاريخية. كما تكونت سرية من المغاوير (الكوماندوز)، قوامها ضباط متدربون على هذه الأعمال، وأقيم في بغداد معسكر لتدريب الجنود الأحداث، وكان كلما تدربت فرقة من المتطوعين، سافروا إلى الشام، لتكون تحت رعاية اللجنة العسكرية. وفي ١٩٤٨/١/٧، غادرت بغداد أول وحدة من سرية المغاوير، ونزلت دمشق، بمرافقة اثنان من أعضاء الجمعية، هما عبد الرحمن ومحمود فهمي درويش، لتنظيم الاتصال بين الجمعية واللجنة العسكرية. وفي ١٩٤٨/١/١٥ سافر إلى الشام " فوج الحسين بن علي "، وتبعه، بعد يومين، " فوج القادسية "، وأرسل إلى الشام، في الوقت نفسه، السلاح، والعتاد اللازمين لهذه الوحدات، أو من هنا نجد أن أول من لبى نداء الدفاع عن فلسطين هم ضباط الجيش وجنوده، الذين تألفت منهم " جمعية

إنقاذ فلسطين " [١]. ثم ألغيت الجمعية بمساع حكومية، وتألفت بعد ذلك " الجبهة المتحدة لإنقاذ فلسطين "، والأشخاص الذين تكونت منهم، وهم مخلصين لوطنهم، وينتمون لأحزاب، وعقليات مختلفة، بشكل لم يسمح لهم بالتعاون والعمل المشترك. نذكر منهم الرئيس جميل المدفعي، محمد الصدر (رئيس الأعيان)، ومصطفى العمري. وكان من بين أعضاء الجبهة " يهود "، وهذا ما أكده رئيس الجمعية، حسين فوزي باشا، كما جمعت الجبهة من الشعب العراقي ما يزيد عن مئتي ألف دينار، وخصصت هذا المبلغ لشراء الأسلحة من إيطاليا، بواسطة وزير الدفاع العراقي، شاكر الوادي، والذي عرف باتصالاته مع الإنجليز [٢].

العراق ودعمة لقضية فلسطين:

كان العراق، قبل الحرب العالمية الثانية، مساندًا لقضية فلسطين، كما أيد الشعب العراقي الشعب الفلسطيني في ثورته الوطنية (١٩٣٦ - ١٩٣٩) على الانتداب البريطاني، وضد الهجرة اليهودية الواسعة إلى فلسطين، وتطوع عدد من الشباب العراقي للجهاد في فلسطين، ومساندتها، ماديًا ومعنويًا، وبعد الحرب العالمية الثانية كانت جميع الأحزاب المجازة تتخذ من القضية الفلسطينية قضية قومية، ودعت إلى إنشاء دولة فلسطينية مستقلة موحدة.

بعد إعلان الحكومة العراقية الأحكام العرفية، في ١٩٤٨/٣/١٥

(١) العارف، **مصدر سبق ذكره**، صـ ٤٩.
(٢) **المصدر نفسه**، صـ ٥١، ٥٢.

بسبب اندلاع حرب فلسطين، ساد العراق نوع من الإرهاب السياسي، وانكمشت على إثرها الحركة النقابية، واعتقل رؤساء نقابات العمال، وعقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية، في ١٠ إبريل/ نيسان ١٩٤٨، وبحثت الوضع العربي المتأزم في فلسطين، وأوضح الحاج أمين الحسيني أن موقف المدافعين العرب الفلسطينيين في منتهى الخطوره، كم أنتقد أعضاء اللجنة من العراق والسعودية لتأخرهم في تقديم الأسلحة للمجاهدين الفلسطينيين، وتم مطالبة العراق بما يلي:

١- إرسال لواء من الجيش العراقي، ليرابط على حدود فلسطين من ناحية شرق الأردن، لمراقبة الوضع، وتقوية معنويات المدافعين عن فلسطين.

٢- إرسال الأسلحة الثقيلة للمجاهدين الفلسطنيين.

إلى ذلك انتقد الشعب العراقي حكومته لعدم إسراعها في إرسال الجيش لفلسطين، للقتال بجانب المجاهدين ضد العصابات الصهيونية الاستيطانية، وخرجت، آنذاك، المظاهرات وأضرب طلاب المدارس، إلى أن وصل هؤلاء إلى مجلس الوزراء، فألقى رئيس الوزراء، محمد الصدر، كلمة وعد فيها المتظاهرين بتنفيذ مطالبهم، وتضمن خطابه إرسال الجيش العراقي إلى فلسطين، وإرساء نظام " الفتوة " في المدارس، وتدريب الطلاب والطالبات، تدريبًا عسكريًا، وأن تعلن الحكومة موقفها المبدأي من قضية فلسطين[١]. بدأ العراق إرسال قواته

(١) صدام حسين، **العراق في التاريخ**، بغداد، المكتبة الوطنية، ١٩٨٣، صـ ٧٢٣، ٧٢٥.

إلى فلسطين، تنفيذًا لقرار الجامعة العربية، وافتقرت الاستعدادات العسكرية المطلوبة من الجبهة العراقية إلى الاستعداد على خير وجه، إذ افتقدت أشياء هامة، مثل المعلومات عن العدو التي ستواجهه، والخطة الملائمة للحرب، وتضامن عربي، ودعم دولي. كما تعرضت القوى الوطنية والأحزاب السياسية العراقية للضغط والإرهاب، والمطاردة، وبذلك سيطر المؤيدون لمعاهدة بورتسموت على الحكم في وزارة الباجه جي، تلك الوزارة التي أعادت الثقة للموقعين على المعاهدة، بتعين شاكر الوادي وزيرًا للدفاع، وعودة صالح جبر، ونوري السعيد إلى بغداد. الأمر الذي أصاب المعارضة في البرلمان بالاستياء، فشنت حملة ضد الباجه جي، وضد اضطهاد الوطنيين، كما أعلنت الأحكام العرفية، جعل ذلك حزب الأحرار الوطني يعلن تجميد نشاطه في مطلع يناير/ كانون الأول عام ١٩٤٨، لم يبق من الأحزاب العلنية، آنذاك، إلا " حزب الاستقلال "، وواجهت الوزارة صعوبات جديدة، لموقفها من القضية الفلسطينية، وعدم مساندة الجيش المصري الذي كان محاصرًا في الفالوجة، آنذاك، وخرجت المظاهرات المطالبة باستئناف القتال في فلسطين ونجدة الجيش المصري، هنا قدم الباجه جي استقالته، في يناير/ كانون الثاني ١٩٤٩، وعهد إلى نوري السعيد بتأليف وزارة جديدة، وهدفها " إنقاذ الوضع في فلسطين "، إلا أن السعيد سحب الجيش العراقي من فلسطين، الأمر الذي مكن العصابات الصهيونية من احتلال مواقع الجيش العراقي. وألف نوري السعيد حزبًا جديدًا بإسم " الاتحاد الدستوري " في نوفمبر/ تشرن الثاني ١٩٤٩، وقدم السعيد استقالة

حكومته، في ١٩٤٩/١٢/١٠، وخلفه جودت الأيوبي. ولعل من أهم أعمال وزارته إلغاء الأحكام العرفية، في أواخر ١٩٤٩، الأمر الذي أدى إلى عودة النشاط الوطني، وإن كان الأيوبي قدم استقالته، هو الآخر في الأول من فبراير/ شباط ١٩٥٠[١]. من هنا نجد أن الدور العراقي في حرب فلسطين كان متناقضًا. فالقادة العراقيون أول من دافع عن التدخل العسكري في فلسطين، بواسطة جيوش الدول العربية، ومع ذلك فالجيش العراقي، بالرغم من أنه أكبر قوة شاركت في الحرب، وإن لم يقم بفعل أكثر من احتلال مواقع في تلك الضفة، كما طالب الوزراء العراقيون مقاطعة عربية، بترولية، وتجارية على الدول الغربية المؤيدة للتقسيم، ولم يفعلوا شيئًا من أجل تحقيق ذلك. وأثناء الحرب رفض العراق كل مبادرات وقف إطلاق النار، ولكنه لم يكن يمتلك استراتيجية عسكرية تدعم ذلك، وبالتالي عجز عن ترجمة رفضه. كما رفضت الحكومة العراقية المشاركة في مباحثات الهدنة، وبدا أنها على استعداد كامل لسحب قواتها، في إسرع وقت، لكن ذلك لم يلغ إرتباط الشعب العراقي، والضباط العراقيين، بقضية فلسطين، كلجنة الدفاع عن فلسطين، وأنشطة أشخاص مثل الضباط في الجيش الطرفي من طرابلس بيروت، فوزي القاوقجي، الذي أصبح قائدًا لجيش الإنقاذ، عام ١٩٤٨، وقبل ذلك بسنوات، كانت زيارة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني للعراق، والذي اتصل بدوائر النفوذ المحيطة برشيد عالي الكيلاني، وأصبحت لقضية فلسطين الغلبة على كل القضايا الأخرى، ونجد أن بريطانيا قد نجحت في

(١) **المصدر نفسه**، صـ ٧٢٦، ٧٢٨.

تفرقة محركي الأحداث في العراق، ولكن ذلك لم يؤثر على العوامل التي دفعت المجتمع العراقي للارتباط الحميم بالقضية الفلسطينية[١].

بعد أن فشلت الحكومات العربية، التي أرسلت جيوشها للقتال في فلسطين ضد الصهاينة، وما حدث من مهازل، وتواطؤ، واستخفاف بحقوق الشعب الفلسطيني، من جانب بعض حكام العرب، لم يتحقق الهدف الرئيسي، الذي ذهبوا من أجله، وتم الانسحاب من فلسطين، دون القيام بعمل ينقذ فلسطين. كان ذلك أمرًا مؤلمًا لضباط الجيش العراقي، لعدم إتاحة الفرصة لهم لمقاتلة الصهاينة، بشكل متكافئ، وذلك لضعف التسليح، وقلته، بالإضافة لعدم صدق نوايا الحكام، الأمر الذي زاد من غليان ضباط الجيش ضد النظام والحكام، " لأن أمر هؤلاء الحكام قد افتضح أمام الجيوش، وكانت حرب فلسطين العامل الذي كشفهم، على حقيقتهم ". وظهرت من هنا مجموعة من الضباط الشباب في صفوف الجيش العراقي ساخطةً على هذا الوضع، وذلك نتيجة لأحداث فلسطين، بالإضافة إلى كشف دور بريطانيا، التي قدمت العون للصهاينة، وقدمت غطاءً شرعيًا لهم في المحافل الدولية، ولم تقدم شيئًا لـ " حلفائها " العرب في الامم المتحدة. كما حركت حرب فلسطين غالبية ضباط الجيش العراقي وقادته. ويرى العقيد الركن نجيب الربيعي*• أن حرب فلسطين لم تكن حربًا بالمفهوم الصحيح، وإنما هي لعبة، وإن دخول الجيش العراقي، على حد وصفه، كان مسرحيةً، أخرجها الضابط الإنجليز "

(١) شليم، روجان، **مصدر سبق ذكره**، صـ ١٣٤، ١٣٦.

(• *) أحد القادة العراقيين، الذين شاركوا في حرب فلسطين.

جون باجوت جلوب باشا " [1].

رأى الربيعي ضرورة توحيد جهود الضباط الوطنيين للقيام بعمل ضد الحكومة في بغداد، والانتقام منها، بعد عودة الجيش العراقي للبلاد، وضباط الجيش قد أدركوا خطورة ما قام به، وزاد ذلك الضباط كرهًا للوصي على العرش عبد الإله، وقاموا بتشكيل خلايا سرية، وأسهم بعمل أول خلية في حرب فلسطين (١٩٤٨) النقيب رفعت الحاج سري، الذي ضم إليه عددًا من الضباط الذين عايشوا الحرب، واكتشفوا ما فيها من فساد وتخاذل بحق العرب الفلسطينيين. قام الركن رفعت الحاج سري بمحاولة اغتيال جلوب باشا، وبتأييد من الركن نجيب الربيعي، ولكنه فشل، ثم نشطت الخلايا السرية للضباط الوطنين العراقيين، وتوسعت، وانضم اليها أعداد من الضباط البارزين، أمثال العقيد الركن نجيب الربيعي، والمقدم الركن عبد الكريم قاسم، والمقدم طارق سعيد فهمي، والرائد عبد الوهاب أمين، والرائد داوود الجنابي، والرائد طاهر يحيى، والنقيب محسن الرفيعي، والملازم خليل ابراهيم وغيرهم من الضباط[2].

صدر أول منشور، هاجم حكام العرب، واتهمهم بالخيانة، وتوعدهم بالمصير المؤلم، في الوقت الذي اتهمت فيه السلطات البريطانية الفريق صالح الجبوري بأنه سيقود الجيش للأستيلاء على السلطة، لمجرد عودته للبلاد، ورأى الضباط إمكانية ما خططوا له، وذلك بعد نجاح الثورة

(١) محمد حمدي الجعفري، **انقلاب الوصي في العراق، انتفاضة تشرين الثاني عام ١٩٥٢**، القاهرة، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٠، صـ ١٤٦: ١٥١.

(٢) **المصدر نفسه**، صـ ١٣١.

المصرية، التي قادها " الضباط الأحرار " عام ١٩٥٢، وكان تأثير ذلك واضحًا على الضباط، فازداد عدد الضباط المنتمين لتلك الخلايا، وأطلق عليها " حركة الضباط الأحرار " تيمنًا بالضباط الأحرار المصريين. كما نجحت تلك الخلايا في التنظيم والاعداد لوضع خطة الثورة، موضع التنفيذ، وكان نشوء " الضباط الأحرار " بشكل منظم وسري، منذ عام ١٩٤٨، خطوة مهمة على صعيد العمل السياسي السري في صفوف الجيش. " وذلك عامل مشترك بين الضباط المصريين والعراقيين، كلاهما كان يفعل نفس الشيء أثناء حرب فلسطين، بالقيام باختيار اكفأ العناصر وأكثرها وطنية، لضمها لتنظيماتهم "، وكانت تلك أكبر نكبة تعرضت لها أجهزة الاستخبارات البريطانية، العاملة في العراق، والتي خيل لها بأنها على علم بكل ما يجري في صفوف الجيش. بعد أن قامت بمحاولات فاشلة لاحتواء الجيش العراقي، وتحجيمه، وإضعافه. إلا أن حركة " الضباط الأحرار " التي قامت بثورة ١٤يوليو/ تموز ١٩٥٨، كانت السكين التي ذبحت مصالح بريطانيه في العراق " [١].

لقد كان لحرب فلسطين أثر واضح على نفوس المواطنين والجيش العراقي، بشكل خاص، فعندما أصدرت القوى الوطنية وضباط الجيش الوطنيين حكمًا على النظام الملكي العراقي، وحملته مسئولية فشل الجيوش العربية في حربها ضد الصهاينة، كان ذلك بداية السقوط التدريجي للحكم الملكي العراقي، ولم يعِ هناك مبرر لإقناع الشعب بأن الحكم الملكي حريص على المصالح العربية، بعدما فرَّط في حقوق

(١) **المصدر نفسه**، صـ ١٥٥: ١٦٢.

العرب في فلسطين، وكانت انتفاضة نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٥٢، امتدادًا لما حدث في يناير/ كانون الثاني عام ١٩٤٨، فالدوافع والأسباب واحدة، ولكن ثورة ٢٣ يوليو/ تموز المصرية كانت السبب الذي سرَّع في إشعال تلك الانتفاضة في العراق، التي تم استخدام الجيش في إخمادها. كانت غالبية الضباط الذين يقودون القطاعات الداخلية إلى بغداد من الموالين للبلاط. لكن ذلك لم يمنع الضباط الأحرار فيما بينهم، من استغلال الفرصة والانقضاض على النظام ومن ثمَّ إسقاطه. وكانت هناك ظروف معينة جعلت " الضباط الأحرار " يؤجلون تنفيذ خطتهم (والربط الذي حدث بين أوضاع فلسطين والعراق يؤكد تأثير تلك الحرب على نفوس هؤلاء الضباط وعلى نشأتهم الثورية، بالقدر الكبير، الأمر الذي جعلهم يربطون مصائرهم بمصير فلسطين). والتفكير في وضع خطة لإسقاط النظام من قبل ضباط الجيش كان كافيًا للإقتناع بأن البلاط قد هزم، وفضح أمر الحكومات العميلة، المتعاونة مع الاستعمار ضد مصالح الشعوب، قد تحقق ذلك، بالفعل. الامر الذي أضعف الوصي على العرش والنخبة المواليه له والحاكمة، التي تزايدت، بمرور الوقت. وفي الوقت أخذ ولاء الضباط، للحكم في الانحسار المطرد. فكانوا يخافون من المصير الذي سيلاقونه فيما بعد... الأمر الذي جعلهم يستسلمون، بسهولة، صبحية ١٤ يوليو/ تموز عام ١٩٥٨، عند تحرك الجيش لاسقاط النظام الملكي [١].

(١) ليث عبد الحسن جواد الزبيدي، **ثورة تموز ١٩٥٨ في العراق**، بغداد، منشورات مكتبة اليقظة العربية، ١٩٨١، صـ ١٠٦: ١٤٢.

أثر حرب فلسطين على الضباط العراقيين. :

نشأ تنظيم الضباط الأحرار، إثر رجوع الجيش العراقي من فلسطين، إدركت غالبية هؤلاء الضباط بأن النصر يجب أن يمر ببغداد، قبل فلسطين، وقد دفعت بهذا الاتجاه، بشكل كبير، ثورة يوليو المصرية، وحتى في المبادئ والمطالب الوطنية، ومنها:

١- إزالة النظام الملكي، وإقامة نظام جمهوري.

٢- القضاء على الإقطاع، وتشريع قانون الإصلاح الزراعي.

٣- تحقيق الإصلاحات الجذرية، في جميع المجالات، وإزالة التخلف.

٤- تحرير اقتصاد العراق وماليته.

٥- تأليف مجلس قيادة الثورة، من أعضاء اللجنه العليا للضباط الأحرار.

٦- استرداد حقوق الشعب العراقي لجمع ثرواته، والتصرف بما تقتضيه مصلحة الشعب.

٧- تحقيق الوحدة الوطنية.

٨- تحقيق العدالة الاجتماعية.

بالاضافة إلى مبادئ وأهداف قومية، الدرعية للوحدة العربية، والمساهمة مع الدول العربية الأخرى في تحرير فلسطين، ومن المبادئ الأخرى:

١- التحرر الوطني وإزالة القواعد العسكرية البريطانية.

obeikandl.com

٢- الخروج من حلف بغداد.

٣- اتباع سياسة عدم الانحياز.

٤- تحديد العلاقات السياسية، والاقتصادية للعراق، مع جميع دول العالم على أساس المصلحة الوطنية والقومية.

٥- إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الاشتراكية الشعبية.

من هنا نجد أن أهداف الضباط الأحرار العراقيين قد تأثرت، بشكل كبير، بأهداف الضباط الأحرار المصريين. ومن هنا نجد أن ثورة ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢ قد سرعت في تحريك الجيش العراقي، ورسم أهدافه الوطنية[١].

كانت دعوة عبد الناصر للوحدة، التحرر من الاستعمار، ومن اللأنظمة الحاكمة، قد حرك المشاعر الوطنية في نفوس كل الوطنين العراقين، ووصل أول مبعوث للثورة إلى بغداد، في الأسبوع الأول من شهر مايو/ آيار ١٩٥٤، وهذه كانت بداية جولة استطلاع للعراق، والوقوف على الوضع السياسي فيه، ومحاولة الاتصال بالعناصر القومية والثورية، والوطنية، وكان أول لقاء مع الضباط الأحرار مع العقيد رفعت الحاج سري، الذي حمل رسالة للرئيس جمال عبد الناصر، قال فيها: إنه بدأ مع بعض رفاقه في تنظيم العناصر الوطنية المخلصة من الضباط، ليجمع تنظيمًا مماثلاً لتنظيم الضباط الأحرار في مصر[١].

(١) **المصدر نفسه**، صـ ٤٢، ٤٣.

(١) عبد الكريم العلوجي، **عبد الناصر والاشتراكية**، مخطوط لم ينشر بعد، د. ت..

الضباط العراقين والثورة:

ما دفع الضباط للقيام بالثورة، في ١٤يوليو/ تموز ١٩٥٨، تحقيق آمال الشعب العراقي في التحرر والوحدة. وقد أثرت سياسة مصر على الأحزاب العراقية، التي طالبت السياسة مشابهة لسياسة مصر وسوريا، بالابتعاد عن سياسة الأحلاف العسكرية، التي لا تفيد العراق، فلا توجد مصلحة للعراق منها، وانتقد الضباط الأحرار السياسة التي انتهجتها الحكومة، التي تآمرت على سوريا، وحاولت توجيه الجيش العراقي لضرب سوريا، وحينما كان عبد الكريم قاسم، والعقيد عبد السلام عارف في الأردن، عام ١٩٥٦، على رأسهم اللواء التاسع عشر، أجريا اتصالات مع الضباط السوريين، ومنهم عبد الحميد سراج، واللواء عفيف البرزي، في منطقة (الرمثا)، على الحدود الأردنية - السورية، وصرح قاسم بعدم اقتناعه بسياسة النظام الملكي العراقي، وأكد عدم مشاركت جميع ضباط الجيش العراقي بالقيام بأي عمل ضد الجيش السوري. وطلب " قاسم " من " السراج " أن يبلغ عبد الناصر رسالة مفردها وجود حركة ضباط أحرار في الجيش العراقي، سوف تأخذ على عاتقها إزالة النظام الملكي [١].

* كما كان للعدوان الثلاثي (خريف ١٩٥٦) على مصر، دور هام في إصدار الضباط العراقيين على السير في خططهم الثورية، التي بدأت بحرب فلسطين، كقضية مصيرية، تهم العالم العربي كله، ومرورًا بثورة يوليو، إلى أن جاء " العدوان الثلاثي " على مصر، وكان ذلك دافعًا آخر

(١) الزبيدي، **مصدر سبق ذكره**، صـ ٤٢، ٤٣.

لإصدارهم على القيام بالثورة، وولد ذلك شعورًا عدائيًا من قبل الشعب العراقي تجاه الحكومة، وقامت الأحزاب السياسية بالقيام بالعمل المسلح وزرع المتفجرات في الأماكن التي يتواجد فيها الضباط البريطانيون، كما عمل الضباط على تهيئة الجماهير الشعبية لإسقاط النظام الملكي، وكان للوحدة المصرية - السورية (١٩٥٨/٢/٢٢) أثر بالغ على الشعب العراقي، وطالب الأحزاب القومية بالإنضمام إلى هذه الوحدة. ويمكن أن يكون عجز الأحزاب السياسية العراقية عن القيام بالثورة الشعبية، هو ما دفع هؤلاء الضباط إلى تفجير ثورة ١٤ يوليو/ تموز[١].

والخلاصة، إن الإطاحة بالملكية العراقية، عام ١٩٥٨، لم تكن نتيجة مباشرة لحرب ١٩٤٨، بل إن تلك الحرب كانت عاملاً من عوامل ذاتية مؤثرًا في الضباط الأحرار، الذين شاركوا في تلك الحرب، وفي تكوينهم الثوري [٢]. بدءًا بالانقلاب العسكري في سوريا (١٩٤٩)، مرورًا بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢، و " العدوان الثلاثي "، وتنامي الشعور القومي لدى ضباط الجيش والشعب، وتحقيق الوحدة العربية بين مصر وسوريا، بالاضافة للانتصارات المختلفة التي أحرزها الشعب العربي في كل من مصر، وسوريا، والأردن، وتصاعد الثورة في الجزائر، وافتضاح أمر " حلف بغداد "، ومعه الحكومة العراقية ناهيك عما للأزمة الداخلية التي تعرض لها العراق، والتعقيد في مشاكل الجماهير الحيوية، وتدهور الاقتصاد الوطني وتقييد الحريات الديمقراطية من موقع مهم في صنع

(١) **المصدر نفسه**، صـ ٤١.

(٢) شليم، آيوجن، **مصدر سبق ذكره**، صـ ١٥٧.

ثورة ١٤ تموز ١٩٥١ الوطنية العراقية[١]. ونجح " الضباط الأحرار " في ضم فئة الجنود وضباط الصف، الذين ينتمون لأصول فلاحية، والذين لعبوا دورًا كبيرًا في إسقاط النظام الملكي. أن ثورة يوليو/ تموز ١٩٥٨، تاريخيًا، هي حصيلة نضال طويل ومرير، وخاصة للشعب العراقي، وكانت نهاية حتمية، بعد أن استنفذ النظام الملكي طاقته على الحياة ولم يعد بإمكانه مواكبة حركة تطور المجتمع العراقي، وتقدمه، وكانت من هنا مبادرة القوى الوطنية، ولى رأسهم ضباط الجيش، بتفويض النظام الملكي، والإعداد لبناء المجتمع العراقي على أسس جديدة [٢].

* * *

(١) حسين، **مصدر سبق ذكره**، صـ ٧٣٦، ٧٤٠.
(٢) الزبيدي، **مصدر سبق ذكره**، صـ ١٣: ٣٥.

obeikandl.com